مجلة الدراسات الإسلامية-جامعة كابل
Journal of Islamic Studies – Kabul University
e-ISSN:3078-6355

JIS Journal Of Islamic Studies Kabul University e-ISSN:3078-6355

https://doi.org/١٠,٦٢٨١٠/jis.v١i٤,١٥٣

الملامح الحضارية لمدينة الكوفة في صدر الإسلام

الباحث:

الدكتور محمد سرور النورستاني، الأستاذ المساعد بكلية التعليم والتربية، قسم التاريخ، جامعة ننجرهار– أفغانستان.

الايميل: sarwarnuristani١٤٣@gmail.com

تاريخ المادة:

تاريخ الإرسال : (٢٨ شوال ١٤٤٦)

تاريخ الإصلاح: (١٨ ذو القعدة ١٤٤٦)

تاريخ القبول: (٢٧ ذو القعدة ١٤٤٦)

تاريخ النشر: (٢٩ رمضان ١٤٤٦)

الملخص: تأسست مدينة الكوفة في عهد أمير المؤمنين عمر الخطاب رضي الله عنه عام ١٧هـ لأغراض عسكرية بحتة، إلا أنها وبعد فترة وجيزة تحولت إلى مدينة حضارية أسهمت بشكل بارز في تكوين الحضارة الإسلامية في العديد من المجالات، ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على تمصير الكوفة وأسباب تخطيطها، وإبراز الدور الذي قامت به في فتوحات المشرق الإسلامي، وبيان الملامح الحضارية لها في المجالات: السياسية، والدينية، والإدارية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية في تاريخها المبكر، ويعتمد البحث على المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي، هذا وقد توصل الباحث إلى نتائج عديدة أهمها: أن اختيار موضع الكوفة لبناء معسكراً اسلامياً لم يكن أمراً عفوياً، وإنما كان بعد بحث دقيق وتفتيش متواصل، وكانت الدواعي إلى تأسيس الكوفة ترجع إلى عاملين أساسيين هما: عامل عسكري، وعامل جغرافي. وأن الكوفة — منذ تأسيسها– لعبت دوراً كبيراً في فتوحات المشرق الإسلامي، وأنها كانت مناراً علمياً، حيث أنجبت إماماً فقيهاً هو أبو حنيفة النعمان، وشاعراً فذاً هو أبو الطيب المتنبي، وفيلسوفاً كبيراً هو الكندي، وعالماً كيميائياً هو جابر بن حيان، ونحوياً هو الكسائي والأصمعي رحمهم الله تعالى جميعاً.

الكلمات المفتاحية: الإدارية، الثقافية، الدينية، السياسية، صدر الإسلام، الكوفة، الملامح.

Civilizational Features of the City of Kufa in Early Islam

ABSTRACT: Kufa was established during the rule of the Amir al-Mu'min Omar Al-Khattab in the year *17* AH for only military objectives. However, within a short period, it evolved into a cultured city that substantially contributed to the development of Islamic civilization across several domains. The research aims to clarify the Egyptianization of Kufa, including its motivations behind its establishment, its significance in the conquests of the Islamic East, and its early historical characteristics across various fields, such as political, religious, administrative, social, economic, and cultural. The study employs a historical, descriptive, and analytical methodology. The researcher generated numerous findings, the most significant of which is that the selection of Kufa as the site for establishing an Islamic camp was not arbitrary but rather the result of a meticulous investigation and ongoing evaluation. The establishment of Kufa was motivated by two primary elements: military and geographical considerations. Kufa, since its beginnings, has been instrumental in the conquests of the Islamic East and has served as a center of knowledge, producing esteemed figures such as the distinguished imam Abu Hanifa al-Nu'man, the prominent poet Abu al-Tayyib al-Mutanabbi, the eminent philosopher al-Kindi, the chemist Jabir ibn Hayyan, and the grammarians al-Kisa'i and al-Asma'i - may God Almighty have mercy on them all.

Keywords: Administrative, Cultural, Religious, Political, Early Islam, Kufa, Featur

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فتعد مدينة الكوفة من أبرز الحواضر الإسلامية التي نشأت في صدر الإسلام، وشغلت موقعًا محوريًا في التاريخ الإسلامي سياسياً، ودينياً، وإدارياً، وثقافياً، فمنذ تأسيسها سنة ١٧هـ على يد القائد المسلم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أصبحت الكوفة مركزًا للقرار السياسي، ومنطلقًا للحركات الدينية والفكرية، ومنبرًا للعلوم الإسلامية، وتنوعت فيها المؤسسات، وتشكّلت بها طبقات المجتمع الإسلامي الأولى، بما في ذلك العلماء، والولاة، والقضاة، والتجار، والعامة. وكذلك كانت الكوفة أرضاً خصبةً للفتن والدسائس التي أسفرت عن سقوط الحكم الأموي في الشام، وقيام الحكم العباسي في العراق.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يُسلّط الضوء على البنية الحضارية لمدينة الكوفة في مرحلتها التكوينية، مرحلة صدر الإسلام، وهي فترة شهدت تحولات عميقة في تاريخ الأمة الإسلامية. كما يسعى البحث إلى توضيح تداخل العوامل السياسية والدينية والعلمية والاجتماعية في تكوين شخصية الكوفة كمدينة نموذجية في التاريخ الحضاري الإسلامي المبكر.

مشكلة البحث:

رغم ما حظيت به الكوفة من أهمية دينية وعلمية وسياسية في صدر الإسلام، فإن الدراسات التاريخية والحضارية لا تزال تعاني من التفاوت في تغطية الجوانب المختلفة لهذه المدينة، حيث ركز كثير منها على أدوارها السياسية أو الدينية دون أن تقدم صورة شاملة عن ملامحها الحضارية.

تساؤلات البحث:

يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما الملامح الحضارية البارزة في مدينة الكوفة في صدر الإسلام، وكيف تجلت في المجالات الدينية، والسياسية، والعلمية، والعمرانية، والاجتماعية، خلال القرنين الأول والثاني الهجريين؟

ويتفرع عن هذا السؤال عدد من الأسئلة الفرعية، منها:

١– كيف ساهم موقع الكوفة وتأسيسها المبكر في تشكيل هويتها الحضارية؟

٢– كيف أسهمت الكوفة في تشكيل المشهد السياسي والديني في الدولة الإسلامية؟

٣– ما الدور الذي أدته الكوفة في الحياة الدينية والعلمية في صدر الإسلام؟

٤– كيف انعكست الظروف السياسية والاجتماعية على تطور الكوفة الحضاري؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق النقاط التالية:

١. التعرف على الملامح الحضارية البارزة في مدينة الكوفة في صدر الإسلام.
٢. الوقوف على إسهامات الكوفة في تشكيل المشهد السياسي والديني في الدولة الإسلامية.
٣. التعرف على دور الكوفة في الحركة العلمية الإسلامية ونشأة المذاهب.
٤. الوقوف على دور الكوفة في النشاط السياسي وكيفية انعكاس ظروفها السياسية على تطور الكوفة الحضاري.

الدراسات العلمية السابقة:

لقد تناول عدد من الباحثين الكوفة في بحوث متعددة، ركزت على أبعاد مختلفة من تاريخها الحضاري، نوجز أبرزها فيما يلي:

١- "الكوفة: النشأة والتطور"، عبد الأمير الأعسم، (٢٠٠١م)، تناول فيها نشأة المدينة، وأهميتها السياسية والإدارية.

٢- "تاريخ الكوفة"، دكتور حسين أمين، وهي دراسة تاريخية تحليلية، نشرت في مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد عام ١٩٧٠، وقد ركزت على النشأة العمرانية للكوفة، ودورها الإداري والعسكري في العصر الراشدي، مع لمحات عن الحياة الاجتماعية فيها.

٣- "الكوفة ودورها العلمي في القرنين الأول والثاني الهجريين"، رسالة علمية للطالبة ميسون العبيدي (جامعة الكوفة، ٢٠٠٤)، وقد تناولت تطور الحركة العلمية ومراكز التعليم في الكوفة، وأشهر علماء المدينة في مجالات الفقه والنحو والحديث.

٤- "البنية الاجتماعية لمدينة الكوفة في العصر الأموي"، كريم الجبوري، بحث نُشر في مجلة دراسات تاريخية سنة ٢٠١٥، وتناول التعدد القبلي في الكوفة، والصراعات الاجتماعية، وأثرها في السياسة المحلية.

٥- "المراكز الحضرية في العراق الإسلامي المبكر" رسالة علمية للدكتور شاكر الزبيدي (جامعة بغداد، ١٩٩٢)، وقد أفرد فصلاً كاملاً للكوفة تناول فيه تنظيمها العمراني وتطور مؤسساتها المدنية والدينية.

فالدراسات السابقة التي تمت الإشارة إليها أعلاه تشير إلى العديد من المحاولات لفهم تاريخ الكوفة، إلا أن هذا البحث يُقدم مقاربة شاملة تربط بين جميع أبعاد الحياة الحضارية للمدينة في تلك الفترة، ويسعى إلى تقديم صورة واضحة حول كيفية تأثير الكوفة في العصر الإسلامي المبكر.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي[١]، من خلال تتبع المصادر الأصلية ككتب التاريخ، والتراجم، والجغرافيا، مع الاستفادة من الدراسات الحديثة، وتحليل المادة التاريخية وفق رؤية حضارية شمولية، تربط بين السياقات السياسية، والدينية، والإدارية، والاجتماعية، والثقافية.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة: تشتمل على أهمية البحث، ومشكلته، وأسئلته، وأهدافه، وخطته، والمنهج المتبع فيه.

التمهيد: تمصير الكوفة ودورها في فتوحات المشرق الإسلامي.

المبحث الأول: الملامح السياسية والدينية للكوفة.

المبحث الثاني: الملامح الإدارية والاجتماعية للكوفة.

المبحث الثالث: الملامح الاقتصادية والثقافية للكوفة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

---

(١) هو عبارة عن النظر في الماضي بواسطة جمع الأدلة وتقييمها، ومن ثم تمحيصها، وأخيراً تأليفها؛ ليتم عرض الحقائق أولاً عرضاً صحيحاً في مدلولاتها وفي تأليفها، وحتى يتم التوصل حينئذ إلى استنتاج مجموعة من النتائج ذات البراهين العلمية الواضحة. العساف، صالح بن حمد، ١٤٢٧هـ، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، ط ٤، الرياض: مكتبة العبيكان، ص: ٢٨٢.

التمهيد: تمصير الكوفة ودورها في فتوحات المشرق الإسلامي:

المطلب الأول: تمصير الكوفة وتخطيطها:

أولاً: تمصير الكوفة:

صنف المؤرخون في القرنين الثاني والثالث كتباً عديدة عن الكوفة منذ تأسيسها، إلا أن مؤلفاتهم لم تصل إلينا(١)، ويسد النقص في هذا الموضوع المادة الواسعة التي خلفها النسابون، والجغرافيون، والإخباريون.

والكوفة في اللغة تأتي لعدة معان، ويظهر أن أقرب معانيها هي الرملة المستديرة، أو التجمع.

وقيل: أن التسمية أخذت من قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لرجاله: "كوِّفوا هذا الرمل" أي نحّوه وأنزلوه.

وقيل: سميت كوفة بموضعها من الأرض؛ وذلك أن كل رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة.

وينسب البعض التسمية إلى تلّ يقال له: (كوفان)، أهاله المسلمون واختطوا عليه(٢).

وتقع الكوفة على الضفة الغربية من نهر الفرات الأوسط، وكان بينها وبين النهر لسان من الرمل يقترب عمودياً من الفرات يسمى الملطاط، ويقع بالقرب منه سهل خصيب، محصور بين الفرات شرقاً، والبادية الواسعة المطلة على مشارف الشام غرباً (٣)، وتبعد ثمانية كيلو مترات من مدينة النجف، و١٥٦ كيلو متراً من بغداد، وستين كيلو متراً من مدينة كربلاء(٤).

وأرض الكوفة سهلة عالية، ترتفع عن سطح البحر بـ ٢٢ متراً، وشاطؤها الغربي أعلى من الشرقي بستة أمتار تقريباً، مما يجعلها في مأمن من الفيضانات قديماً وحديثاً، وكلما سرنا غرباً ارتفعت الأرض عن سطح البحر تدريجياً لتصل إلى ستين متراً ونصف المتر، ثم تنحدر انحدارً شديداً نحو الجنوب الغربي لتمتد إلى بحيرة مالحة ضحلة عرفة ببحر النجف غرباً(٥).

ولم تكن الكوفة معروفة بهذا الاسم قبل تأسيسها، وليس في موقعها ما يشير إلى أنها كانت في يوم من الأيام مستوطناً من المستوطنات العربية أو العراقية القديمة، ولم يعثر في حفائرها أو في أرضها على آثار أو أبنية تعود إلى عصور ما قبل التاريخ أو بعده، وإنما كان موضعها جزءً سهلياً من الضفة اليمنى للفرات الأوسط وإلى جهة الشمالية الشرقية من مدينة الحيرة، ويدعى سورستان(٦)، والتي اتخذت اسم الكوفة عند تمصيرها.

وكان بناء الكوفة إحدى الضرورات العسكرية، التي أوجبتها دواعي الفتح الإسلامي لبلاد فارس في عهد أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه، فقد أرسل الجيش الإسلامي تحت إمرة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعد فتوح العراق الفاصلة إلى بلاد فارس، وكان من نتيجة هذا أن طالت خطوط المواصلات بين المدينة المنورة عاصمة الخلافة الإسلامية في ذلك الوقت وميادين القتال، فكان من الضروري أن يتخذ الجيش الإسلامي المحارب نقطة ارتكاز له يستريح عندها

---

(١) منها كتاب (خطط الكوفة) للهيثم بن عدي الطائي، و(تاريخ الكوفة) لابن النجار.

(٢) ينظر عن معنى الكوفة في اللغة ووجه تسميتها بذلك: البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر، ١٩٨٨م، فتوح البلدان، (د. ط)، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ص٢٧١؛ وابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، ١٤١٤هـ، لسان العرب، ط ٣، بيروت: دار صابر، ٩: ٣١١.

(٣) انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص: ٢٧٣؛ والطبري، محمد بن جرير بن يزيد، ١٣٨٧هـ، تاريخ الرسل والأمم، ط ٢، بيروت: دار التراث، ٤: ٤٢.

(٤) حسن الدجيلي، الكوفة مدينة النحاة والقضاة والشعر، ١٩٨١م، *مجلة الفيصل* ٥٦، ص: ٣٨.

(٥) حسن الدجيلي، المصدر السابق نفسه.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص: ٢٧١؛ والدجيلي، الكوفة مدينة النحاة والقضاة والشعر، ص: ٣٨.

من عناء السفر وعناء الحرب، أو معسكراً ثابتاً قريباً من ميدان القتال، فأصدر عمر الفاروق رضي الله عنه أمره إلى سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه أن: "يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانا"، يرابط فيه الجنود مع أسرهم تحت السلاح[١].

وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قد اتخذ المدائن[٢] — طيسفون – مقراً لقيادة المسلمين، ومركزاً لإدارة البلاد المفتوحة[٣].

وبما أن المدائن كانت تتعرض لفيضانات نهر دجلة الموسمية، انتشرت فيها المستنقعات، وكثرت فيها الحشرات والأمراض، وأصبحت ظروفها الصحية تتنافى طبيعة عرب الصحراء[٤]، وحيث إن نهر دجلة والفرات يؤلفان عائقاً مائياً كبيراً بين المدائن والجزيرة العربية، وجّه أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه رسالة إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقال: "أن العرب بمنزلة الإبل لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل، فارتد لهم موضعاً عدناً، ولا تجعل بيني وبينهم بحراً"[٥].

ويضاف إلى ذلك رغبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حفظ العرب جيشاً محارباً بعيداً عن الشعوب المغلوبة، كما فعل مع الجيش العربي الاسلامي الذي فتح مصر عندما أمره بعدم الإقامة في الإسكندرية[٦].

وتشير الروايات التاريخية إلى أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعث حذيفة ابن اليمان وسلمان الفارسي رضي الله عنهما ليرتادا له المكان المناسب، فاختارا مكان الكوفة[٧]، فانتقل سعد إليه، وكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إني قد نزلت بكوفة منزلاً بين الحيرة والفرات برياً بحرياً، ينبت الحلي والنصي، وخيرت المسلمين بالمدائن، فمن أعجبه المقام فيها تركته فيها كالمسْلحة، فبقي أقوام من الإفناء، وأكثرهم بنو عبس"[٨]، فأقرّ الخليفة الموضع المختار، وكان بناء الكوفة كقاعدة عسكرية في شهر محرم سنة ١٧هـ على أحسن الروايات.

ويذكر اليعقوبي أنها بنيت سنة ١٤هـ[٩]، في حين يجعلها أبو عبيدة سنة ١٨هـ[١٠]، وتتفق روايات كل من سيف بن عمر والواقدي على أنها بنيت سنة ١٧هـ[١١]، وهو القول المشهور، وينفرد الحموي بالقول إنها مصِّرت سنة ١٩هـ، دون أن

---

(١) الموسوي، مصطفى عباس،١٩٨٢هـ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن الإسلامية، (د. ط)، العراق: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ص: ٨٣.

(٢) تقع المدائن في يومنا هذا على الضفة الشرقية لنهر دجلة إلى الجنوب من بغداد. الموسوعة الحرة، استرجعت بتاريخ ٢٠٢٤/٥/٢٦م.

https://ar.wikipedia.org/wiki .

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣: ٥٧٩.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص: ٢٧٢.

(٥) المصدر السابق، ص: ٢٧١.

(٦) الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، ص: ٨٧.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤: ٤١؛ وابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، ١٤١٧هـ، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط ١، بيروت: دار الكتاب العربي، ٢: ٣٥٢–٣٥٣.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤: ٤٣.

(٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص: ٦٩.

(١٠) ذكره عنه البلاذري في فتوح البلدان، ص: ٢٧٢.

(١١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤: ٤٢.

يشير إلى مصادره[١].

ثانياً: تخطيط مدينة الكوفة وتطورها:

اختط سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الكوفة على غرار مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم على شكل دائري، وبنى في وسطها مسجد الكوفة، وبجواره دار الإمارة، وبيت المال، وسوقاً يرتاده الناس، ثم قسمها إلى شوارع وطرقات، وحولها الخطط لمختلف القبائل والجماعات[٢].

لم تكن الكوفة في أيامها الأولى سوى أكوام وكتل من الخصاص[٣] والخيام التي نصبت بصورة مؤقتة بين الحملتين[٤]، والتي إذا غزا المسلمون قلعوها وربطوها في أحزمة، وإذا عادوا من الغزو أعادوا نصبها لهم، فكانوا يغزون ونساءهم معهم[٥]، إلى أن احترقت الكوفة فأرسل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى الخليفة عمر الفاروق رضي الله عنه يخبره بذلك ويستشيره في البناء من الطين، فأرسل أمير المؤمنين له بالموافقة قائلاً: "افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات، ولا تطاولوا في البنيان، وألزموا السنة تلزمكم الدولة"[٦].

وجعل سعد أبا الهياج بن مالك الأسدي يشرف على بناء الكوفة، وأبلغه بأن الخليفة عمر الفاروق –رضي الله عنه– أمره بأن يكون الشارع الرئيسي أربعون ذراعاً، وما يليه من الشوارع الثانوية ثلاثون ذراعاً، وما بين ذلك عشرون ذراعاً، وللأزقة سبعة أذرع، وليس دون ذلك شيء، وفي القطائع[٧] ستين ذراعاً إلا الذي لبني ضبة[٨].

وكان أول شيء خط بالكوفة مسجدها، وجاء تخطيط المسجد، وكانت مساحة المسجد تنقسم إلى صحن وضلله القبلة، ثم قام رام شديد يد النزع فرمى عن يمينه وشماله، ومن بين يديه ومن خلفه، ثم أمر ببناء الخطط وراء مواقع السهام[٩].

---

(١) الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، ١٩٩٥م، معجم البلدان، ط ٢، بيروت: دار صابر، ٤: ٤٩١.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ٤: ٤٩١؛ والدجيلي، الكوفة مدينة النحاة والقضاة والشعر، ص: ٣٨؛ وسعيد بن عمر آل عمر، ١٤٣١هـ، المدن الإسلامية في أفق الحضارة الإسلامية، ط ١، الدمام: مكتبة المتنبي، ص: ١٠١.

(٣) أي الأكواخ القصبية. نشوان بن سعيد الحميري، ١٤٢٠هـ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، والآخرون، ط ١، بيروت: دار الفكر المعاصر، ٣: ١٦٧٤.

(٤) لويس ماسينيون، ١٣٩٩هـ، خطط الكوفة وشرح خريطتها، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط ١، النجف: منشورات جمعية منتدى النشر النجف الأشرف، ص: ٣٧–٣٨.

(٥) الحموي، معجم البلدان، ٤:٤٩١.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤: ٤٤.

(٧) الأراضي التي يعطي السلطان لرجل فيصير له رقبتها، ويؤدي عشرها، ويكون لورثته بعده. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ١٤٢٤هـ، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، ط ١، المغرب: مكتبة الآداب، ص: ١٦١.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤: ٤٤.

(٩) المصدر السابق، ٤: ٤٤–٤٥.

وبنوا بجوار المسجد دار الإمارة، بينها وبين المسجد طريق منقب[١] مائتي ذراع، وجعل فيها بيوت الأموال[٢].

وبالنسبة لتقسيم الخطة بين أفراد القبيلة تشير بعض المصادر التاريخية إلى: أن كل قبيلة كانت تقسم الخطة المخصصة لها، وكان الأمر متروكاً لحرية تصرف واختيار القبيلة أو الجماعات المتناجسة، وكان لكل قبيلة في خطتها مسجد ومقبرة خاصة بها[٣].

ومن وسط المدينة (المسجد) امتدت الشوارع، خمسة في اتجاه الشمال، وأربعة في اتجاه الجنوب، وثلاثة في اتجاه الشرق، وثلاثة في اتجاه الغرب، وأطلق عليها "مناهج أهل العزم"، وكانت الشوارع الثانوية تسير موازية للشوارع الرئيسية، وأحياناً مقابلة معها، وأطلق عليها "منهاج الدهناء"، ثم يلي ذلك الشوارع الفرعية التي كانت أقل اتساعاً عن سابقتها، وتربط التكوينات المعمارية بالشوارع الثانوية والرئيسية[٤].

وقد قسمت الخطة على أساس أن يكون سوق المدينة في منطقة الوسط، وكان عبارة عن ساحة فضاء كبيرة لا توجد به مبان أو أسقف سوى تلك الظلل التي عملت فيما يبدوا من القصب لتظل البائعين في أماكنهم التي اختاروها، واستمرت السوق على هذه الهيئة حتى عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) عندما قام عامله على الكوفة خالد القسري بإنشاء الأسواق على هيئة معمارية جديدة تشتمل على جوانب سفلية، ومساكن علوية لمبيت التجار[٥].

وهكذا وضع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه اللبنة الأولى لمدينة الكوفة التي بدأ تطورها يتلمس طريقه نحو شكل المدينة الثابت في إمارة المغيرة بن شعبة سنة ٢٢هـ، فأدخل الآجر لأول مرة وبشكل محدود في بناء بعض الدور فيها[٦].

ويبدوا أن تطور الكوفة يرجع إلى إمارة زياد بن أبيه في ٥٠هـ، فقد أصبح الآجر في عهده هو المادة الرئيسية المستعملة في البناء، فأخذ المسلمون يشيدون دورهم به بدلاً من الطين واللبن[٧]. في حين أعاد زياد بناء المسجد ودار الإمارة بالآجر، وأدخل بعض التعديلات والتحسينات عليهما، فوسع المسجد وزاد فيه[٨]. فأصبح أكبر وأجمل مسجد إسلامي آنذاك[٩].

ثم اتسعت الكوفة وامتد عمرانها حتى بلغت في أوائل القرن الرابع الهجري ستة عشر ميلاً وثلثي الميل، وبنى فيها خمسون ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وأربع وعشرون ألف لسائر العرب، وستة آلاف دار للقبائل اليمنية[١٠].

---

(١) يقال للطريق: منقب أو منقبة أيضاً: إذا كان في موضع غليظ. كراع النمل، علي بن الحسن الأزدي، ١٤٠٩هـ، المنتخب من غريب كلام العرب، تحقيق: محمد بن أحمد العمري، ط ١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ص: ٤١٠.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص: ٢٧١-٢٧٢؛ والطبري، المصدر السابق نفسه.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤: ٤٤-٤٦؛ وماسينيون، خطط الكوفة، ص: ٦٣-٦٥، و٧١-٧٥، و١١٤-١٢٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤: ٤٥؛ وماسينيون، خطط الكوفة، ص: ٦٣-٧١.

(٥) ينظر عن تخطيط هذه المنشآت مفصلاً: الطبري، المصدر السابق، ٤: ٤٥؛ وماسينيون، خطط الكوفة، ص: ٩٤؛ وسعيد بن عمر، المدن الإسلامية في أفق الحضارة الإسلامية، ص: ١٠٣.

(٦) ماسينيون، خطط الكوفة وشرح خريطتها، ص: ٣٨.

(٧) الحموي، معجم البلدان، ٤: ٤٩١.

(٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص: ٢٧١؛ والحموي، معجم البلدان، ٤: ٤٩١.

(٩) الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، ص: ٩٠.

(١٠) الحموي، معجم البلدان، ٤: ٤٩٢.

المطلب الثاني: دور الكوفة في فتوحات المشرق الإسلامي:

لاشك أن الكوفة أنشئت لتكون معسكراً ثابتاً للجيوش الإسلامية في تدفقها على بلاد فارس، وعلى الرغم من أن هذا المعسكر قد تحول –مع الزمن– إلى مدينة، فإن مهمتها العسكرية استمرت لها، فقد ظل المقاتلون يفدون إليها من وسط وأطراف الجزيرة العربية فيستقرون فيها إلى أن يصدر لهم أمر الخليفة بالخروج إلى الجهاد، أو بإمداد غيرهم من الجيوش الإسلامية المجاهدة في مختلفة الأرجاء.

وإن المتتبع لحركة الفتح الإسلامي يجد أن الكوفة لعبت دوراً ملموساً في هذه الحركة، فمنذ نشأتها وهي لا تكف عن المشاركة في كافة ميادين القتال في الجبهة الشرقية.

ذكر الطبري أن أول قتال اشترك فيه جند الكوفة كان بعد تأسيسها بقليل، فتم لهم فتح الجزيرة الفراتية، وإخضاعها في سنة (١٧) للهجرة، وفي السنة نفسها اشتركت حامية الكوفة في فتح رامهرمز، وتستر، ونهاوند[١].

والكلام على فتوح الكوفة كثير، وقد حفلت به كتب التاريخ والفتوح، وتغنينا عنه شهادة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي عبرت بوضوح في أكثر من مناسبة عن الدور الفعال الذي لعبته الكوفة في حركة الفتح الإسلامي، فقد ذكر ابن سعد في طبقاته[٢]: "كتب عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة: يا أهل الكوفة أنتم رأس العرب وجمجمتها وسهمي الذي أرمي به إن أتاني شيء من هاهنا وهاهنا".

وفي مناسبة أخرى قال: "جزى الله أهل الكوفة خيراً! يكفون حوزتهم، ويمدون أهل الأمصار"[٣].

وتستمر مشاركة جند الكوفة بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الفتوح، فقد شاركت الكوفة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه في غزو السرى وأذربيجان[٤].

كما أنهم شاركوا في الحروب في أيام الدولة الأموية فقاتل أهل الكوفة في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما الخوارج الحرورية[٥]، وفي أيام عبد الملك بن مروان قام أهل الكوفة بدور خطير في قتال الخوارج الأزارقة بالأهواز مع المهلب بن أبي صفرة في سنة (٧٢) للهجرة[٦]، ثم مضوا بعد ذلك إلى الري للجهاد[٧].

والمتتبع لحركة الفتح الإسلامي يجد أن الكوفة والبصرة كانتا المعسكرين الأساسيين اللذين انطلقت منهما الجيوش الإسلامية لفتح المناطق الشرقية والشمالية الشرقية التي تمتد شرقي دجلة حتى بلاد السند، كما تمتد شمالاً حتى أرمينية وأذربيجان، فقد تسنى لهما نتيجة لذلك تحديد حدود الإمبراطورية الإسلامية في هذا الميدان[٨].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤: ٥٣–٥٤، و٨٣.

(٢) المصدر السابق، ٦: ٨٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤: ٥٢.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص: ٣١٩–٣٢٠.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥: ١٦٥–١٦٦.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص: ٢٦٨.

(٧) الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن الإسلامية، ص: ٩٣.

(٨) المصدر السابق نفسه.

المبحث الأول: الملامح السياسية والدينية للكوفة:

المطلب الأول: الملمح السياسي:

بعد أن تم القضاء على قوة الساسانيين، ونصارى العراق من العرب بُنيت الكوفة –كما مرّ معنا– واستوطنتها القبائل العربية المختلفة، وقد حوت هذه القبائل الأعراب الذين كان نصيبهم من الإسلام وفهمه نزراً يسيراً، وقبائل المرتدين الذين حاربهم أبو بكر رضي الله عنه وانتصر عليهم، إضافة إلى القبائل الأصلية العراقية من نصارى العرب(١).

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه صاحب موقف واضح من المرتدين، فكان يكتب إلى عماله أن لا يستعينوا بمرتد في جهاد عدو.

وبعد ما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه دأب على نفس النظرة التي كان ينظر بها أبو بكر للمرتدين، ولكن عمر أبدى قليلاً من المرونة مع بعض المرتدين بسبب الحاجة الماسة، واستفاد منهم على نطاق ضيق(٢).

ولما تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه تجاوز التقييد التي فرضه الخليفتان قبله تجاه المرتدين، وقد ارتأى أن عامل الزمن الذي مضى على أهل الردة كاف لأن يتخلص من كان قد ارتد من رواسبها(٣).

وقد شكل المرتدون مع وجود الطوائف من الناقمين على الإسلام خطراً كبيراً، وكان الجميع يلبس لباس الغيرة على الإسلام.

وكانت الكوفة هي أول البلدان التي أعلنت خلع عثمان، فحين بدت في أفق السياسة أحقية علي بالخلافة وذلك بفضل تلك الأفكار التي أخذ يدسها ابن سبأ في صفوف رعاع الناس وأهل الهوى والزيغ قام عمرو بن زرارة بن قيس بخلع عثمان في الكوفة ومبايعة علي، وكان هو أول من تجرأ على مثل هذا الفعل(٤).

وبعد ذلك انفتح باب الفتن، وقام الخلاف المستحكم في السياسة الإسلامية ثم في مجال الاعتقاد، ونشأت المتاعب المختلفة في ذلك.

والحقيقة أن السبئية وجدت في المجتمع الكوفي مكاناً خصباً لدس أفكارها حتى تغلغلت في رؤوس الشر من أهلها.

وكان أهل الكوفة اتهموا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عند ما كان أميراً عليهم من قبل عمر رضي الله عنه، واتهموه بعدم إحسان الصلاة وهو أحد المبشرين بالجنة، وخال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٥).

ويبدوا أن الفتنة انتشرت في الكوفة كثيراً؛ ولذلك قال الشعبي رحمه الله تعالى: "الكوفة أول مصر نزغ الشيطان بين أهله"(٦).

ولقد عانى منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه أشد المعاناة؛ فمن مؤلّه له، ومن خار عليه، حتى كان يقول في أهل

---

(١) محمد بن عبد الهادي الشيباني، ١٤٣٠هـ، مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية، ط ٢، الرياض: دار طيبة، ص: ٢٥٩–٢٦٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والأمم، ٤: ٢٥.

(٣) محمد الشيباني، مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية، ص: ٢٦١.

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، ١٤٢٢هـ، صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، ط ١، بيروت: دار طوق النجاة، ١: ١٥١، رقم الحديث: ٧٥٥.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والأمم، ٤: ٢٥١.

الكوفة: "من يصول بهؤلاء فقد صال بالسهم الأخيب"[١].

وكان موقفهم من الحسن بن علي رضي الله عنهما موقفاً سيئاً، يدل على خسّة وحقارة لا مثيل لها، فقد طعنوه واستلبوا متاعه، حتى أخذوا بعض جواريه، ولذلك قام الحسن خطيباً بعد ما بايع لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بالخلافة وقال: "يا أهل العراق لو لم تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث لذهلت: بقتلكم أبي، ومطعنكم إياي، واستلابكم متاعي..."[٢].

وقد لعبت الكوفة دوراً خطيراً في إتاحة الحكم الأموي بكونها أحد أبرز قوات التنظيم السري للتنظيمات الدعوة العباسية التي أسقطت دولة بني أمية؛ لأن أول من استجاب للدعوة العباسية أربعة نفر من الكوفة: المنذر الهمداني، أبو رباح النبال، أبو عمر البزار، ومصقلة الطحان، حيث كان أبو سلمة الخلال نقطة الالتقاء في الكوفة للقادمين من خراسان إلى الحجاز، وجعلها مقراً للخلافة العباسية في سنة ١٣٢هـ بقيادة أبي العباس السفاح، ثم تولية أبي جعفر المنصور بها أيضاً[٣].

فلما ظفر العباسيون بالخلافة، وأقاموا دولتهم على أنقاض دولة بني أمية لم يرق ذلك في نظر العلويين، ولم تطب بذلك نفوسهم، على الرغم من أن الجميع من أولاد هاشم، واشتراكهم في العمل على إزالة دولتهم، إذ أدركوا أن العباسيين قد خدعوهم، واستأثروا بالخلافة دونهم، مع أنهم أحق بها منهم، فنابذوا العداء، ونظروا إليهم كما كانوا ينظرون إلى الأمويين من قبل، فظلوا يناضلون ويكافحون ابتغاء الوصول إلى حقهم في الخلافة[٤].

المطلب الثاني: الملمح الديني:

نبت في المجتمع الكوفي مذهبان خطيران، لكل منهما أثره الفكري والسياسي في المجتمعات الإسلامية حتى هذه الأيام، وهما المذهب الخارجي، والمذهب الشيعي الغالي.

١. نشأة الخوارج في الكوفة:

اختلف المؤرخون وعلماء الفرق في تحديد نشأة الخوارج[٥]، ولعل القول الراجح هو أن الخوارج بالمعنى الصحيح اسم يطلق على تلك الطائفة ذات الاتجاه السياسي، والآراء الخاصة، والتي خرجت عن جيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الكوفة، والتحموا معه في معركة النهروان[٦].

كانت الخوارج من أوائل الفرق التي ظهرت في الإسلام، وكان ظهورها سنة ٣٧هـ، حين اعترضت على الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه جنح إلى التحكيم في صفين، وانشقت عنه، واعتزلت جيشه بحروراء، وكان عددها بضعة عشر ألفاً.

وقد حاول علي رضي الله عنه إقناع الخوارج بإرسال الرسل إليهم مما أدى إلى تقليص أعدادهم إلى أربعة آلاف فقط،

---

(١) الفسوي، يعقوب بن سفيان، ١٤٠١هـ، المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط ٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢: ٧٥٢.

(٢) المصدر السابق، ٢: ٧٥٣.

(٣) عارف أحمد عبد الغني، ٢٠١٠م، تاريخ أمراء الكوفة، ط ١، دمشق: دار كنان للنشر والتوزيع، ص: ٧.

(٤) حسن إبراهيم حسن، ١٩٩٦م، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط ٧، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ٢: ١٢٢.

(٥) قيل: أنهم نشأوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل: في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقيل: أنهم ظهروا في عهد نافع بن الأزرق ابتداء من سنة ٦٤هـ، وهو قول علماء الإباضية.

(٦) غالب عواجي، ١٤٢٢هـ، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ط ٤، جده: المكتبة العصرية الذهبية، ١: ٢٣٤.

الذين بايعوا عبد الله بن وهب الراسبي، والذي خرج بأتباعه إلى النهروان خفيةً، وقتلوا عبد الله بن الأرت ومعه أم ولده، كما قتلوا آخرين، فقد صاروا يكفرون من خالفهم، ويستبيحون دمه وماله، فسار إليهم علي رضي الله عنه بجيشه في محرم عام ٣٨هـ، وانتصر عليهم نصراً مؤزراً[١].

وناصب الخوارج الأمويين العداء، وسلوا السيوف عليهم منذ قيام سلطانهم وحتى زواله: ففي عام ٤١هـ تحرك الخوارج الذين كانوا اعتزلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بشهر زور وعددهم خمسمائة من الحرورية بقيادة فروة بن نوفل الأشجعي، وقالوا: قد جاء الآن ما لا شك فيه، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه، وكان معاوية رضي الله عنه لا يزال في الكوفة على أثر الصلح الذي جرى بينه وبين الحسن بن علي رضي الله عنهما، فهدد معاوية أهل الكوفة، وأمرهم بقتالهم، فقاتل أهل الكوفة الخوارج وقتلوهم[٢].

ودعا الخوارج عام ٤٢هـ إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد المبطلين...، وولوا عليهم المستورد بن علفة التميمي، فوجه إليهم المغيرة بن شعبة رضي الله عنه والي الكوفة ثلاثة آلاف بقيادة معقل بن قيس الرياحي، فقتل المستورد، وقتل أكثر أصحابه وذلك عام ٤٣هـ[٣].

ودخل شبيب بن يزيد الكوفة ومعه زوجته غزالة عام ٧٧هـ فقاتله الحجاج بن يوسف الثقفي والي الكوفة، وقتل شبيب[٤].

وهدأت ثورات الخوارج فترة من الزمن حتى كانت ثورة شوذب عام ١٠٠هـ في ولاية عبد الحميد بن عبد الرحمن على الكوفة من قبل عمر بن عبد العزيز –رحمه الله–، وقيل: أن عمر بن عبد العزيز ناظرهم ولم يثوروا، فلما كانت ولاية سعيد بن عمرو الحرشي على الكوفة وذلك في خلافة يزيد بن عبد الملك ثاروا فقاتلهم سعيد وقضى عليهم[٥].

ثم تتابعت ثورات الخوارج في الكوفة إلى أن أتيحت الدولة الأموية على يد العباسيين.

والملاحظ أن حركات الخوارج بات تنطلق من الكوفة وما حولها، ثم أخذت تمتد إلى البصرة واليمامة والبحرين وعمان وحضر موت واليمن، ثم إلى الموصل والجزيرة وإلى شرق العراق وخراسان وبلاد المغرب، وهي البلاد التي شهدت في الأغلب الإعداد والتحضير لإزالة سلطان بني أمية، ثم الأعمال العسكرية التي أنهت سلطان الأمويين، وهو وإن لم تكن الدعوة والأعمال العسكرية التي أزالت دولة الأمويين امتداداً عضوياً لثورات الخوارج، فإن الجهود الفكرية والعسكرية التي قام الخوارج بها آذت القوة العسكرية الأموية، وزعزعت الولاء والثقة بالأمويين، وأضعفت هيبتهم في النفوس، وقل حماس الجند لنجدتهم حين الشدة والضيق[٦].

٢. نشأة المذهب الشيعي وتطوره في الكوفة:

قسمت السياسة أهل الكوفة إلى قسمين:

أ- قسم ظاهر قضية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتبناها، وهم الأغلبية.

---

(١) أكرم ضياء العمري، ١٤٢٤هـ، عصر الخلافة الراشدة، ط ٤، الرياض: مكتبة العبيكان، ص: ٤٨١-٤٨٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥: ١٧٤.

(٣) المصدر السابق، ٥: ١٧٣-٢٠٩.

(٤) المصدر السابق، ٦: ٢١٦-٢٨٤.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ٦: ٥٥٥-٥٥٦، و٥٧٥-٥٧٨.

(٦) ضيف الله بطانية، ١٤٢٠هـ، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ط ١، الأردن: دار الفرقان، ص: ٣٨٣.

ب– وقسم وقفوا إما على الحياد، أو مع بني أمية، وهم قلة، ومن ثم ظهر في المجتمع الكوفي حزبين: شيعة وسنة، وظل هذا الانقسام قروناً.

لقد كان التشيع في بدايته يعني محبة علي رضي الله عنه، وخوض الحرب معه، ومعرفة فضل آل البيت، – وهذا أمر معترف به حتى عند أهل السنة، ولا يشك فيه أحد– ثم تطور الأمر بشكل سريع، وبدأت الشيعة تعتقد أن علياً رضي الله عنه هو الوصي بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وأن أبا بكر وعمراً رضي الله عنهما قد اغتصبا الخلافة، وأن بغضهما ولعنهما مما يتقرب به إلى الله عز وجل...، فسموا بذلك الرافضة.

وليس أدل على تطور التشيع السريع في الكوفة مما ذكره أبو إسحاق السبيعي الكوفي حينما قال: "خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن وهم يقولون، والله ما أدري ما يقولون..."[(١)].

وبعد استشهاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه واصطلاح الحسن ومعاوية –رضي الله عنهما– أجبر أهل الكوفة على الخضوع لسلطان الأموي، فانطوت صدور المتشيعين على بغض بني أمية، ولكنهم لم يكونوا يستطيعوا الجهر بذلك، وظلوا على ولائهم للبيت العلوي، وحقهم في الخلافة، ولم يعترفوا بتنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة، وكان لموته رنّة في نفوسهم.

ولم يرض الشيعة في الكوفة عن استخلاف يزيد بن معاوية وكاتبوا الحسين بن علي رضي الله عنهما، ودعوه إليهم، فأجابهم، ولكن عبيد الله بن زياد – والي يزيد على الكوفة– تمكن بوعوده ووعيده أن يحمل أهل الكوفة على التخلي عنه، فخذلوه وتركوه في قلة من أصحابه، وقتل الحسين رضي الله عنه في كربلاء عام ٦١هـ.

ولم يلبث شيعة الكوفة بعد وفاة يزيد بن معاوية أن اجتمعوا تحت لواء سليمان بن صرد الخزاعي في الحركة المعروفة بحركة التوابين، وساروا نادمين على خذلان الحسين، وطالبين بدمه، فالتقوا بجيش بني أمية من أهل الشام في عين الوردة عام ٦٥هـ، وهُزم التوابون، وقُتل كثير منهم[(٢)].

وعلى أثر هزيمة التوابين نهض المختار بن أبي عبيد الثقفي في ميدان السياسة سنة ٦٦هـ، واستغل ثورة التوابين لنيل أغراضه ومراميه ضد بني أمية وعبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وأرسل جيشاً إلى الكوفة بقيادة إبراهيم بن أشتر، ونجح في قتل عبيد الله بن زياد وكثير من أشراف أهل الشام[(٣)].

ولما استفحل أمر المختار عمل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما على الإيقاع به، فأرسل إليه جيشاً بقيادة أخيه مصعب بعد أن ولاه العراق، فقتل المختار وسبعة آلاف من اتباعه الذين طالبوا بدم الحسين بالقرب من الكوفة سنة ٦٧هـ، واستولى على الكوفة[(٤)].

ولا تتحدث الأخبار عن ثورات الشيعة في الكوفة بعد ذلك حتى عام ١٢١هـ، ففي هذا العام ثار زيد بن علي بن الحسين بالكوفة، وأيد كثير من أهلها، وبايعوه على الدعوة إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وجهاد الظالمين...،

---

(١) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني، ١٤٠٦هـ، منهاج السنة، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط ١، الرياض: جامعة الإمام سعود الإسلامية، ٦: ١٣٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والأمم، ٥: ٥٥١–٥٦٣.

(٣) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ١: ٤٠٢.

(٤) المصدر السابق، ١: ٤٠٣.

ولكن الشيعة لم يلبثوا أن انفضوا عنه وتركوه يقتل في قليل من أصحابه عام ١٢٢هـ[١].

المبحث الثاني: الملامح الإدارية والاجتماعية للكوفة:

المطلب الأول: الملمح الإداري:

كانت الكوفة من القواعد العسكرية التي أصبحت مركزاً لاستقطاب القبائل العربية التي هاجرت لأجل الاشتراك في الجهاد والفتوحات، وتحقيقاً للأهداف العسكرية جعل سعد بن أبي وقاص القبائل أسباعاً على النحو التالي:

السبع الأول: كنانة وحلفاؤهم من الأحابيش وغيرهم، وجديلة، ويقال لهم: العالية.

السبع الثاني: قضاعة وبجيلة وخثعم وكندة وحضر موت والأزد، وهم اليمانية.

السبع الثالث: مذحج وهمذان وحلفاؤهم، وهم يمانية أيضاً.

السبع الرابع: تميم وسائر الربات وهوازن، وهم مضرية.

السبع الخامس: أسد وغطفان ومحارب والنمر وضبيعة وتغلب.

السبع السادس: وهم من بني بكر بن وائل وربيعة، ويضم إياداً وعكاً وعبد القيس وأهل هجر، ومعهم الحمراء.

السبع السابع: يتألف من قبيلة طيء[٢].

واستمرت تعبئة القبائل الكوفية على الأسباع، وظل الأمر كذلك حتى أيام زياد بن أبيه، فقام بتقليص الأسباع وجعلها أرباعاً كالآتي:

الربع الأول: أهل العالية:

الربع الثاني: تميم وهمذان (نزار ويمانية).

الربع الثالث: ربيعة وكندة (نزارية ويمانية).

الربع الرابع: مذحج وأسد (نزارية ويمانية)[٣].

وكان زياد يهدف بهذا التنظيم الجديد إلى تقليل نفوذ رؤساء القبائل على أفرادها، وذوبان القبائل المناوئة للدولة، وتخفيف حدة العصبية القبلية[٤].

لقد حتمت ضرورة تنظيم العطاء والانتداب وجود نظام إداري متكامل على رأسه رؤوس الأتباع أو الأرباع، ويليهم

(١) الطبري، تاريخ الرسل والأمم، ٧: ١٧٠-١٧٣، و١٨٠-١٩١.

(٢) ماسينيون، خطط الكوفة وتطورها، ص: ٤٢-٤٨.

(٣) المصدر السابق، ص: ٦٠-٦١.

(٤) محمد الشيباني، مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية، ص: ٢٥٢.

العرفاء، ثم المناكب[١]، ثم النقباء[٢][٣].

هذه السلسلة من الوظائف الإدارية هي الواسطة بين الوالي والقبائل، وقد توسعت صلاحياتهم منذ أيام سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه– حتى أصبح لهم دور كبير أيام زياد ومن بعدهم[٤].

ويمكن أن نتعرف على كثافة الوجود القبلي في الكوفة إذا عرفنا أن المسجد في عهد عمر يسع لأربعين ألف شخص، ولقد ازداد عدد مقاتلة الكوفة ما بين ١٧ وسنة ٢٥هـ من عشرين ألفاً إلى أربعين ألفاً[٥].

ويذكر الشعبي أن عدد المقاتلة المشتركين مع علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– في الكوفة بلغ خمسين ألفاً[٦].

وذكر أبو الحسن محمد بن علي الكندي البزار: أن في الكوفة خمسين ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وأربع وعشرين ألف دار لسائر العرب، وستة آلاف دار لليمن[٧].

وربما كان هذا التعداد متأخراً غير أنه يعرّفنا على الكثافة العددية لقبائل ربيعة ومضر.

المطلب الثاني: الملمح الاجتماعي:

عاشت الكوفة منذ تأسيسها سنة ١٧هـ نهضةً اجتماعية لافتة، حيث كانت من أوائل المدن التي أسسها المسلمون خارج الجزيرة العربية، ما جعلها موطناً لتفاعل اجتماعي متنوع بين قبائل عربية وإسلامية من مختلف المناطق، إلى جانب فئات أخرى من الموالي وسكان المدن المجاورة.

تألف المجتمع الكوفي من جماعات متعددة الأصول والانتماءات. فقد تمركزت فيها قبائل عربية كقيس، وتميم، والأزد، وربيعة، بالإضافة إلى أفراد من قريش وطيء وغيرهم، وقد استقرت هذه القبائل في "خطط" محددة داخل المدينة، بحسب نظام الخطط الذي اتبعه الخلفاء الراشدون في تأسيس الأمصار[٨].

كما ضمّت الكوفة فئة الموالي، وهم من غير العرب الذين دخلوا في الإسلام، وكان لهم دور اجتماعي وثقافي بارز، وخصوصاً في حلقات العلم والقرآن، وقد تعرض بعضهم لممارسات التمييز الاجتماعي في بداية الأمر، إلا أن مكانتهم ارتفعت لاحقاً بسبب إسهاماتهم في مجالات اللغة والفقه والحديث[٩].

---

(١) قال الفراء: المنكب: عون العريف. الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري، ٢٠٠١م، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ١، بيروت: دار إحياء التراث، ١٠: ١٥٨.

(٢) النقباء: جمع نقيب، وهو كالعريف على القوم المقدم عليهم، الذي يتعرف أحوالهم، ويُنَقِّبُ عن أحوالهم. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد، ١٣٩٩هـ، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، د. ط، بيروت: المكتبة العلمية، ٥: ١٠١.

(٣) محمد الشيباني، مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية، ص: ٢٥٢.

(٤) المصدر السابق، ص: ٢٥٣.

(٥) المصدر السابق، ص: ٢٥٦.

(٦) محمد الشيباني، مواقف المعارضة في عهد يزيد، ص: ٢٥٦.

(٧) المصدر السابق نفسه.

(٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص: ٢٨٩؛ والطبري، تاريخ الرسل والأمم، ٤: ٢٢٠.

(٩) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، ١٩٦٨م، الطبقات الكبرى، تقديم: إحسان عباس، ط ١، بيروت: دار صادر، ٦: ١٩٢.

غلب الطابع الإسلامي السني على المجتمع الكوفي في صدر الإسلام، لا سيما في عهد الخلفاء الراشدين، إلا أن الكوفة أصبحت لاحقاً مركزاً لعدد من الحركات الفكرية والدينية، أبرزها التشيع لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، خاصة بعد انتقاله إليها، واتخاذها عاصمة لخلافته سنة ٣٦هـ. كما ظهرت فيها فرق الخوارج في فترات لاحقة(١).

وامتاز المجتمع الكوفي بالتنوع في العادات والتقاليد، فقد كانت المجالس والمنتديات الأدبية والدينية شائعة، وبرزت في المدينة مظاهر التعايش بين عناصر المجتمع المختلفة، وكان للمسجد الجامع دور محوري في الحياة الاجتماعية، حيث لم يكن مكانًا للعبادة فحسب، بل مركزًا للقضاء والتعليم والاجتماعات العامة(٢).

رغم الطابع المحافظ، شاركت المرأة الكوفية في الحياة الاجتماعية والدينية، وبرزت أسماء نسوية في رواية الحديث والشعر، مثل أم عمرو بنت عبد الرحمن الأنصارية، والرباب بنت امرئ القيس زوجة الإمام الحسين، وكان لهن دور تربوي وعلمي معتبر(٣).

وواجه المجتمع الكوفي بعض التحديات، منها النزاعات القبلية بين الفئات المختلفة، مما استدعى تدخلات متكررة من قبل ولاة الكوفة لضبط النظام العام، كما شهدت المدينة فترات من التوتر السياسي والاجتماعي، خاصة في زمن الفتنة الكبرى وما بعدها(٤).

المبحث الثالث: الملامح الاقتصادية والثقافية للكوفة:

المطلب الأول: الملمح الاقتصادي:

قامت مدينة الكوفة على ضفة الفرات، وفي منطقة معروفة بحاصلاتها الزراعية المختلفة، وبصناعاتها الريفية التي اشتهرت بها مدينة الحيرة وقراها المجاورة، فهيأت لها المزارعين والعمال الحرفيين، وظهر فيها بعد فترة قصيرة مجتمع حضري مستقر أخذ ينمو سريعاً بعد أن كان مجتمعاً عسكرياً متحركاً لا يعرف الاستقرار، وهاجرت إليها جموع من الفلاحين والعمال من المناطق المجاورة، ثم توسع وتنوع ليصبح من أكبر التجمعات الإسلامية.

حينما نزل المسلمون أرض الكوفة ما كان يدور في خلدهم أن يصبحوا مزارعين ولا مستوطنين، ولذلك لم تحظ الزراعة لديهم باهتمام كبير لسببين واضحين:

١– أن العرب القادمين لم يكونوا أهل زراعة أصلاً، بل حملة رسالة سماوية، ومجاهدين، مستنفرين للقتال في كل ساعة.

٢– أنهم منعوا من مزاولة الزراعة منعاً باتاً، فقد نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعده الخليفة الثالث عثمان ابن عفان رضي الله عنه عن الاشتغال بالزراعة، بل حتى السكن قرب المدن الكبيرة كالمدائن والحيرة؛ لئلا تفسدهم حياة المدن، وتلهيهم عن الجهاد، وحينما شرع بعض قادة الفتح في توزيع أراضي السواد على المقاتلين حال الخليفة عمر

(١) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، ١٤٢٦هـ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نعيم زرزور، ط ١، المكتبة المصرية؛ ص: ٥٢.

(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، ١٤١٧هـ، تاريخ بغداد، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١: ٥٥.

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، ١٤١٥هـ، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٨: ٢٠٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والأمم، ٥: ٥٧.

بن الخطاب رضي الله عنه دونهم، وأمرهم بتركها لأصحاب المغلوبين يزرعونها، ويدفعون الخراج عنها[١].

وحينما اتضح لدى عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– أن بعضها كان بوراً، وبعضها مقاطعات زراعية عافها أصحابها الفرس من أمراء وكبار ملاكين، وخشية أن تتحول إلى أراض بور، وتفقد طاقتها الإنتاجية سمح باستغلالها، كما شجع على إحيائها، وقال: "من أحيا أرضاً ميتاً ليست في يد مسلم، ولا معاهد، فهي له"[٢].

وخطا الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه خطوة أخرى حينما أقطع عدداً من الصحابة والتابعين وقادة الجيش قطائع عامة وخاصة تقديراً لخدماتهم، وتشجيعاً لهم من الاستيطان، فالقطائع العامة كانت خارج المدن، ومعظمها من أراضي الساسانيين، وأما الخاصة فكانت داخل المدن، وأقطعت لأغراض سكنية[٣].

اهتم ولاة الكوفة في العصر الأموي اهتماماً كبيراً بتوسيع رقعة الأراضي المزروعة في الكوفة وتحسينها، ولا سيما زياد بن أبيه (٥١–٥٣هـ)، والحجاج بن يوسف (٧٥–٩٥)، وخالد القسري (١٠٥–١٢٠هـ) حينما حفروا الأنهار، وجفوا الأهواز والمستنقعات، واستصلحوا الأراضي البور، وشقوا الترع والقنوات[٤].

واشتهرت الكوفة بإنتاج محصولات زراعية كثيرة ومتنوعة، وأهمها: الشعير، والحنطة، والأرز، والذرة، والسمسم، والدخن، والماش، والعدس، وقصب السكر، والقطن، وزراعة الزهور والورود، والنخيل، فضلاً عن زراعة الفواكه، والكروم، وكان معظم خراج يأتي من محصولي الشعير والقمح[٥]. وقد بلغ خراج الكوفة في أيام زياد بن أبيه ٤٠ مليوناً[٦].

وفي النشاط الصناعي والحرفي اشتهرت الكوفة بصناعة الأقمشة الحريرية، كالثياب، ومناديل الرأس، وبالعمائم المصنوعة من الخز، وعمل الوشي، وبالحلل النجرانية، وبجميع الأقمشة الصوفية والقطنية، وباستخلاص العطور من الزهور، وباستخراج الزيوت من القطن والسمسم، وبصناعة الصابون، والسجاد، والحصر، والخيام، والخزف، والآجر المزجج، والزجاج، والأقداح، وغيرها، هذا فضلاً عن الصباغة، والحدادة، والنجارة[٧].

كما اشتهرت الكوفة بأسواقها العديدة المتنوعة والمتخصصة بكل لون، فكانت فيها أسواق الوراقين، والزياتين، والصيارفة، والصاغة، والتمارين، وباعة الزهور، والخياطين، والجزارين، والحناطين...[٨].

وكانت طبقة العمال المهرة والمزارعين تتألف من الموالي، والعبيد المعتقين، والنبط، ومن سكان مدينة الحيرة، والقرى المسيحية المجاورة[٩].

---

(١) الدجيلي، الكوفة مدينة النحاة والقضاة والشعر، ص: ٤٤.

(٢) المرجع السابق، ص: ٤٥.

(٣) الإدريسي، الموارد المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، ص: ١٨٥–١٨٧، و٢٥٣.

(٤) الدجيلي، الكوفة مدينة النحاة والقضاة والشعر، ص: ٤٥.

(٥) المصدر السابق نفسه.

(٦) الإدريسي، الموارد المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، ص: ١٩٣.

(٧) الدجيلي، الكوفة مدينة النحاة والقضاة والشعر، ص: ٤٥.

(٨) ماستيون، خطط الكوفة، ص: ٩٤–١٠٥.

(٩) الدجيلي، الكوفة مدينة النحاة والقضاة والشعر، ص: ٤٥.

المطلب الثاني: الملمح الثقافي:

اشتهرت الكوفة أكثر من غيرها بنشاطها الفقهي واللغوي من القرن الأول، ولم يكن لها منافس في سائر البلاد الإسلامية إلا شقيقتها البصرة، ونشأت فيها حركة دينية أرست قواعد الفقه الإسلامي، على أساس الكتاب والسنة النبوية، والإجماع، ولا غرابة فقد نزلها سبعون صحابياً ممن شهدوا معركة بدر مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وجعلها الخليفة الرابع علي ابن أبي طالب رضي الله عنه مقراً لخلافته.

وقد اختار عمر بن الخطاب رضي الله عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ليكون وزيراً لسعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه–ومعلماً، وقاضياً، وكان من تلاميذه: شريح، والشعبي، وسعيد بن جبير، وكانت حصيلة هذا التجمع الكبير ظهور مدرسة فقهية عظيمة يرأسها الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله تعالى(١).

ونشأت في الكوفة كذلك مدرسة في اللغة والنحو، أسفرت عن مناقشات طويلة بين نحاة البصرة والكوفة، واشتهر منهم الكسائي والفراء، وكانت مثابة للعلماء، والأدباء، والشعراء، تعقد فيها الحلقات الدراسية التي مهدت لنهضة أدبية كبرى في العصرين الأموي والعباسي، ويكفيها فخراً أنها أنجبت إماماً فقيهاً هو أبو حنيفة النعمان، وشاعراً فذاً هو أبو الطيب المتنبي، وفيلسوفاً كبيراً هو الكندي، وعالماً كيميائياً هو جابر بن حيان، ونحوياً هو الكسائي والأصمعي(٢).

وكان اهتمام الكوفة بالشعر والشعراء أكثر من اهتمام البصرة، وكان سكانها أفصح العرب قاطبة، وأكثرهم تفاخراً بمدينتهم، وقد دارت بين الكوفيين والبصريين مفاخرات ومناظرات في العصر العباسي، كالمناظرة بين يدي الخليفة السفاح، وعند الأمير يزيد بن عمر بن هبيرة، كما كانوا يناظرون في مجالسهم الخاصة...ففخر الكوفيون على البصريين بأن جنودهم في الحروب الأولى كانت قد انتصرت على الفرس، وكانت هم اليد الطولى في إخراج كسرى وإتاحة ملكه، وفخروا بأنهم كانوا جنود سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يوم القادسية، وأنهم ناصروا علي بن أبي طالب يوم الجمل، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان معلمهم ومؤذنهم، وشريحاً كان فقيههم، وأن نحوا من سبعين صحابياً نزل بينهم، وفخروا بمسجدهم العظيم، وفخروا أيضاً بخصب الكوفة وحسن موقعها(٣).

وعاشت الكوفة عصراً ذهبياً امتد حتى منتصف القرن الثاني للهجرة، وحينما شُيّدت بغداد في منتصف هذا القرن تحول النشاط الحضاري والعقلي والأدبي إليها، فكان هذا إيذاناً بأفول نجم الكوفة، وضعف شأنها، وبلغ هذا الضعف في أوائل القرن الرابع، حيث فقدت مركزها السياسي، وضعف شأنها، وأصبحت مدينة للعلوم الدينية، ومركزاً للفقه، إلى أن استولى البويهيون إيران العراق، ووجهوا عناية خاصة إلى بعض المدن، لا سيما النجف والكوفة، وكربلاء، وسامراء، والمشهد الكاظي، فاستعادت الكوفة مركزها السياسي والثقافي، وبزوال حكمهم على أيدي السلاجقة الأتراك، وتصاعد القلاقل والاضطرابات بدأت الكوفة تفقد مركزها تدريجياً(٤).

الخاتمة:

من خلال إعداد هذا البحث المختصر حول الملامح الحضارية في الكوفة في صدر الإسلام تبين لي ما يأتي:

---

(١) المرجع السابق، ص: ٤٤.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) المرجع السابق، ص: ٤٤-٤٥.

(٤) المرجع السابق، ص: ٤٥-٤٦.

١. أن اختيار موضع الكوفة لبناء معسكراً اسلامياً لم يكن أمراً عفوياً، وإنما كان بعد بحث دقيق وتفتيش متواصل، وكانت الدواعي إلى تأسيس الكوفة ترجع إلى عاملين أساسيين هما: عامل عسكري، وعامل جغرافي.
٢. أن الكوفة لعبت دوراً كبيراً في فتوحات الجبهة الشرقية، حيث شارك جند الكوفة في فتح مدن الجزيرة، وأذربيجان، وخراسان، كما قامت الكوفة بإخماد ثورات الخوارج داخلها وخارجها.
٣. ظهرت في الكوفة فرقتان عظيمتان مناوئتان للخلافة الإسلامية عبر قرون من الزمن، وهما الخوارج والشيعة، والتي كلفت الخلافة خسائر روحية ومادية ضخمة.
٤. كانت الكوفة –منذ تأسيسها– مناراً علمياً، حيث أنجبت إماماً فقيهاً هو أبو حنيفة النعمان، وشاعراً فذاً هو أبو الطيب المتنبي، وفيلسوفاً كبيراً هو الكندي، وعالماً كيميائياً هو جابر بن حيان، ونحوياً هو الكسائي والأصمعي.

التوصيات:

في ضوء ما تم عرضه وتحليله من الملامح الحضارية لمدينة الكوفة في صدر الإسلام، يوصي الباحث بما يلي:

١– تشجيع إجراء المزيد من الدراسات التخصصية في مجالات الحضارة الإسلامية المبكرة، وخاصة ما يتعلق بالمدن الإسلامية المركزية كالكوفة والبصرة وبغداد بالعراق، والفسطاط والعسكر بمصر، والقيروان وفاس في أفريقيا، لفهم تداخل الأبعاد الدينية والسياسية والعلمية فيها.
٢– الاهتمام بتحقيق المخطوطات والوثائق التاريخية المتعلقة بالكوفة، لا سيما سجلات الوقف، وكتب الطبقات، والوثائق القضائية، لما تحمله من تفاصيل دقيقة عن الحياة اليومية في المدينة.
٣– دمج موضوع المدن الإسلامية كمادة دراسية في مناهج كليات الآداب والشريعة والتاريخ، لما لها من قيمة علمية في فهم نشأة الفكر الإسلامي وتطور الحواضر الإسلامية.
٤– العمل على تطوير الدراسات الميدانية والأثرية في موقع الكوفة القديمة، من خلال التعاون بين الجامعات العراقية ومراكز البحوث الدولية المختصة بالتاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية.
٥– تعزيز الربط بين الدراسات التاريخية والحضارية، وبين واقع المدن الإسلامية المعاصرة، لاستخلاص العبر والتجارب الحضارية المفيدة في مجالات العمران، والتخطيط، والتعليم، والإدارة.
٦– إعادة قراءة التجربة الحضارية لمدينة الكوفة في إطارها الزماني والمكاني الصحيح، بعيدًا عن التوظيف الأيديولوجي، لترسيخ منهج علمي موضوعي في تحليل تاريخ الحواضر الإسلامية.

فهرس المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، د. ط، بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ.
- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط ١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني، منهاج السنة، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط ١، الرياض: جامعة

الإمام سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ.

- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، تقديم: إحسان عباس، ط ١، بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ط ٣، بيروت: دار صابر، ١٤١٤هـ.
- الإدريسي، ألبان بن محفوظ، الموارد المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، ط ١، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٧هـ.
- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نعيم زرزور، ط ١، المكتبة المصرية، ١٤٢٦هـ.
- أكرم ضياء العمري، عصر الخلافة الراشدة، ط ٤، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، ط ١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- بطانية، محمد ضيف الله، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ط ١، الأردن: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
- البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر، فتوح البلدان، (د ط)، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م.
- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط ٧، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م.
- حسن الدجيلي، الكوفة مدينة النحاة والقضاة والشعر، مجلة الفيصل، السعودية، العدد: ٥٦.
- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ط ٢، بيروت: دار صابر، ١٩٩٥م.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
- سعيد بن عمر آل عمر، المدن الإسلامية في أفق الحضارة الإسلامية، ط ١، الدمام: مكتبة المتنبي، ١٤٣١هـ.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، ط ١، المغرب: مكتبة الآداب، ١٤٢٤هـ.
- ضيف الله بطانية، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ط ١، الأردن: دار الفرقان، ١٤٢٠هـ.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، تاريخ الرسل والأمم، ط ٢، بيروت: دار التراث، ١٣٨٧هـ.
- عارف أحمد عبد الغني، تاريخ أمراء الكوفة، ط ١، دمشق: دار كنان للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.
- العساف، صالح بن حمد، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، ط ٤، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ.
- غالب عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها، ط ٤، جدة: المكتبة العصرية الذهبية، ١٤٢٢هـ.

- الفسوي، يعقوب بن سفيان، المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط ٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ.
- كراع النمل، علي بن الحسن الأزدي، المنتخب من غريب كلام العرب، تحقيق: محمد بن أحمد العمري، ط ١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ.
- لويس ماسينيون، خطط الكوفة وشرح خريطتها، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط ١، النجف: منشورات جمعية منتدى النشر النجف الأشرف، ١٣٩٩هـ.
- محمد بن عبد الهادي الشيباني، مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية، ط ٢، الرياض: دار طيبة، ١٤٣٠هـ.
- الموسوعة الحرة، https://ar.wikipedia.org/wiki.
- الموسوي، مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن الإسلامية، (د. ط)، العراق: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٢هـ.
- نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، والآخرون، ط ١، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٢٠هـ.
- الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ١، بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠١م.